

رسالة في أحوال ملوك التتار المغول

تأليف: حسين علي البطيبي (ت ق ٧هـ)

دراسة وتحقيق

أ.م.د. ثامر كاظم عبد الخفاجي

الكلية التربوية المفتوحة في بابل

Message in the case of the kings of the Tartars Mongols**Author: Hussain Ali Al-Baiti (D. C. 7 AH)****Study and investigation****Ass. Prof. Dr. Thamer Kazem Abd Al-Khafaji****Open Educational College in Babylon****Abstract**

The search for how Tatar Mongols arose and the choice of a personality with a mind and a complete narration was a mournful mourning. This mourning became a great khana and a famous emperor with a lot of soldiers and followers, aspiring to the distant lands and remote places. The news is received by traders, testers, and news. He seized a party from the land of sin and then set up his army and took over many cities and castles. Then came his son Hulaku, who was a great man brutish fast murder with an arrogance loves bloodshed as well as his love to the people of science close to them occupied the strongholds of atheism and the threat of their policies.

Keywords: Message, Conditions, Kings, Tatars, Mongols.

المُلخَص

يتحدث البحث عن كيفية نشوء التتار المغول واختيار شخصية ذا ذهن وروية كاملة وكان حدادا نصالا فصار هذا الحداد خانا كبيرا واميرا مشهورا مبسوط الباع كثير الجند والاتباع فطمح ببصره الى البلاد القاصية والاماكن النائية اذ ترد الاخبار عن طريق التجار وذوو الاختبار والاخبار يخبرونه بأحوال البلدان ونواحي الآفاق حتى استولى على طرف من بلاد الخطاء ثم هيا جيشه واستولى على كثير من المدن والقلاع ثم جاء من بعده ولده هولوكو الذي كان رجلا عظيم البطش سريع القتل ذا مهابة يحب ارافة الدماء فضلا عن حبه لأهل العلم مقربا لهم احتل قلاع الملاحدة وتهديد صياصبيهم.

الكلمات المفتاحية: رسالة، أحوال، ملوك، التتار، المغول.

حياة المؤلف

الحسين بن علي البطيبي^(١)

هو المولى الأعظم قدوة المحققين أفضل المتأخرين الحسين بن علي البطيبي الحافظ، لما بلغ في بلدته أستراياد حماها الله من طوارق الحدتان، وإن كان لم يبق منها إذ ذاك إلا شفا جرف هار من كثرة فتن تأتيتها وعليها ينهار، في العاشر من رجب من سنة ثمان وخمسين وستمائة، قال: أحب أن أختمه بشيء من تواريخ أحوال ملوك زمانه وما وجله من شرور الدهر بعيانه، من جملة من الكلام في تقرير ابتداء ظهور ملك التاتار الأمغلة الذي استولوا على ملك الدنيا واستعبدوا أهلها من أقصى بلاد التُّرك إلى الرُّوم عربًا وعجمًا ضربًا بالسِّيوف وحطمًا للصُّوف بعد الصُّوف فسبعت السادس من الباب السادس والعشرين^(٢).

(١) جاءنا بأمر بطيبي أي: عجب، وأنشد غيره: ألم تتعجبي وترّي بطيياً من الحقب الملوثة الفنوناً، والتطيطة: صوت البطة، ينظر: الأزهرى: محمد بن أحمد بن الهروي (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (٢٠٠١م): ٢٠٩/١٣.

(٢) مقممة المخطوط.

وصفه صاحب الذريعة: بالشيخ الحافظ وقال: ((إنَّ له تعريب كتاب (تبصرة العوام ومعرفة مقالات الإمام) للسيد صفي الدين أبي تراب المرتضى بن الداعي بن القاسم الحسيني، والمرتضى الرازي من مشايخ منتجب الدين صاحب الفهرست (ت ٥٨٥هـ) (١)).

ونكره السيد الجليلي في ترجمة محمد بن الحسين الرازي بقوله: ((جمال الدين المرتضى أبي عبد الله محمد بن حسين بن حسن الرازي نقلًا عن الحسين بن علي البطيبي الذي ترجم كتاب المترجم إلى العربية وهو كتاب (نزهة الكرام ويستأن العوام) بالفارسية في شيراز، وعزبه الحافظ البطيبي عام ٦٥٨ هـ في أسترآباد، ونقل عن الكتاب رضي الدين علي بن طاووس (ت ٦٦٤ هـ) في كتابه فرج المهموم ص: ١٠٧ طبعة النجف ١٣٦٨ هـ)) (٢)..

هذا كل ما نعرف عنه، ولعلَّ هذا أول تأليف فارسي يعرَّب من تراث شيعة أهل البيت (عليهم السلام)، فإنَّ المؤلف هو العكس أعني ترجمة الكتب العربية.

وصف النسخ الخطية

هدفنا في تحقيق رسالة (أحوال التتار المغول) هو إخراج نصّها صحيحًا مفهومًا لا يشويه إبهام، خاليًا من التّعقيد والالتواء، بعيدًا عن المظاهر الشكلية التي يقتصر عليها بعض المحققين في عملهم.

وهي رسالة مختصرة في تاريخ التتار المغول وسقوط بغداد على أيديهم، اعتمدت في تحقيق هذه الرسالة على نسخة خطية واحدة، وهي نسخة محفوظة في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي في طهران، تحتوي على (٢٤) صفحة، الموضوع: (تاريخ)، طول المخطوطة وعرضها ٨ سم × ٤ سم، وعدد أسطرها (١٨) سطرًا، حالة خطها جيّد، وحالة الورق جيّد، ونوع الخط نسخ، خالية من الهوامش والتعليق، حالة المخطوط: كاملة لا نقص فيها، وفيها تصحيف وتحريف قليل، خالية من الحواشي، التسلسل العام للمخطوطة في المكتبة المذكورة (١٣٧٧)، كتبت بالمداد الأسود هي وعناوينها، اسم ناسخ: حسين بن محمد في الخامس من جمادى الآخرة سنة ٨٩٨ هجرية في مدرسة الفقيه الفاضل الكامل أحمد يوجاني (٣).

وتوجد نسخة ثانية باللغة الفارسية، نسخة عليها رسوم ونقوش جميلة، لم نستقد منها؛ لأنّها باللغة الفارسية.

أول النسخة: ((علم أنّه حكى لي الأمانة، وهو حبيبتنا الأعزّ أمين الدين محمد بن أميركان الأسترآبادي قال: حكى لي بقراقورم محمد الخفّاف عن بعض المغالين الذي كان شيخنا دهرياً)).

آخر النسخة: ((تمَّ هذا الكتاب بعون الله تعالى ومنه، وصلى الله على خير خلقه محمد المصطفى (ص) وأصحابه وقت الظهر من يوم الجمعة في شهر الله المبارك جمادى الآخرة في تاريخ سنة ثمان وتسعين وثمانمائة من هجرة المصطفى خير البرية، على يد العبد الفقير حسين بن محمد غفر الله ذنوبهما وستر عيوبهما في مدرسة الفقيه الفاضل الكامل الفقيه أحمد يوجاني أطال الله تعالى بقائه بحق محمد وآله أجمعين، والسلام)).

المنهج الذي اتبعته في تحقيق الرسالة

شرعت في التحقيق بعد أن حصلت على نسخة خطية واحدة للرسالة والتي ذكرتها في وصف النسخ الخطية.

لقد اعتنيت بتفحص النسخة بكلّ روية ودقّة، ثمّ معارضة النصّ المحقّق بين يديّ على الكتب التي لها علاقة مباشرة بالرسالة، ولا سيّما الكتب التي استقى منها المؤلف - (و) - موضوع رسالته، عنيت بشرح ما يتطلّب الشرح وتخرّيج ما يحتاج إلى تخرّيج، مقارنة بين نص الأصل الذي لديّ والنصوص المشابهة في المصادر المختلفة، ثمّ وضعت ترجمة لكلّ ما ورد من أسماء وطرف من أخبارهم من الذين وردوا في المخطوطة بالإيجاز والاختصار قدر المستطاع، والتعليق عليها بكلّ ما ورد فيها من لقب ونسب وكنية وموقع في هامش الموضوع الأول الذي ورد فيه، لأجنّب الباحث عناء الرجوع إلى فهرس الكتاب وخاتمته، وقد راعيت ما ذكره المؤلف في المتن

(١) الطهراني: محمد محسن بن علي (ت ١٩٧٠م)، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت، ط ٣، (١٤٠٣هـ): ٢١٢/٤، ٢٣٩/٢١، العاملي: محسن بن عبدالكريم الأمين (ت ١٣٧٢هـ)، أعيان الشيعة، دار التعارف للطبوعات، بيروت، (١٤٠٦هـ).

(٢) الجليلي: محمد حسين الحسيني (معاصر)، فهرس التراث، تحقيق: محمد جواد الحسيني الجليلي، دليل ما، طهران، (١٤٢٢هـ): ٦٤٩/١.

(٣) ينظر: فهرس المخطوطات مجلس الشورى الإسلامي في طهران ١٩٣/٢.

والمحافظة على النصّ إلا ما جاء مصحفاً أو محرفاً وقد أشرت إليه في الهامش وتأكّدت من صحته في كتب الرجال، وكلّ بياض أو سقط من المخطوط في المتن، فرجعنا بذلك إلى المصادر المعتمدة التي دونها أسيّاخه وأساتذته في كتبهم القيمة التي اشترنا إليها أنفأً لتصحيح ما التبس أو سقط من السند أو الرواية أو الحديث، وقد أجهدتُ نفسي غاية الإجهاد في البحث والتتقيب عن الروايات والأخبار التي ذكرها المصنّف وراعت النصوص التي استشهد بها المؤلّف وقمت بتخريجها، وضبط الآيات القرآنية المباركة وإخراجها، وضبط الأحاديث النبويّة الشريفة والآثار والروايات والأخبار لمعرفة صحتها أو ضعفها وإخراجها، اعتمدت في ذلك كلّهُ على الكتب التي اعتمدها المؤلّف والمصادر الأخرى التي لها علاقة بالتراجم بالإضافة إلى كتب الأنساب، وكتب الكنى والألقاب، ومعاجم البلدان ومعاجم اللّغة وهي مذكورة في أماكنها من الهامش، ووضع علامات الترقيم والإشارات التي تساعد على فهم المعنى، وتبرزه بصورة جليّة وواضحة، وراعت التسلسل الزمني في كتابة المصادر والمراجع، ووضعت عضادتين [] للتدليل على معرفة الساقط من المخطوط الأصلي الذي اعتمدت عليه، والقوسين () لمعرفة الساقط من النسخة.

معرفة أحوال التتر^(١)

اعلم أنّه حكى لي [أحد]^(٦) الأئمّة، وهو حبيبنّا الأعرّ أمين الدين مُحمّد بن أميركان الأسترابادي^(٣) قال: حكى لي بقراقورم^(٤) مُحمّد الخفّاف^(٥) عن بعض المغالين الذي كان شيخنا دهرياً^(٦) من جملة من تقرب بآل جنقزخان^(٧)، وتعرّف من حالهم مشاهدةً وعياناً: إنّه كان جنقزخان رجلاً داهياً ذا ذهن ورويّة كاملةٍ وذكاء وفطنة، وكان حدّاداً نصّالاً، وكان قومه شردمة قليلين، لا غناء عندهم ولا دفاع لهم، يحكم فيهم وعليهم قوم آخرون يقال لهم نيمانيون^(٨)، وهؤلاء كانوا كثيرين منتشرين شجّعاً مغيرين، فكانوا يتجاوزون طورههم ويكثرون جورهم على قوم جنقزخان، ويظلمونهم، ويسلبون جواريههم وغلماهم، حتّى بلغوا مبلغ سيلهم الرّبي، وكاد ينقذ في البطن السّلي^(٩).

فاجتمع قوم جنقزخان ذات يوم، وكان أخفضهم نسباً، غير أنّه كان له ثروة لم تكن لأصحابه، فتشاوروا في إصلاح حالهم وريش نبالهم، ورمّ شعثهم، وأنّ الفساد من أية تتطرّق إليهم، والأعداء كيف يستولون عليهم!

(١) قال ابن أبي الحديد: في خطبة علي بن أبي طالب (8) في وصف الأترك: " كآني أراهم قوماً كأنّ وجوههم المجان المطرقة، يلبسون السرق والديباح، ويعتقبون الخيل العتاق، ويكون هناك استحرار قتل حتّى يمشي المجرور على المقتول، ويكون المغلّت أقلّ من المأسور" ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: حسن تميم، مكتبة الحياة، بيروت، (١٩٦٣م): ٢١٧/٨، وقال: واعلم أن هذا الغيب الذي أخبر (8) عنه قد رأيناه نحن عياناً، ووقع في زماننا، وكان الناس ينتظرونه من أول الإسلام، حتّى ساقه القضاء والقدر إلى عصرنا، وهم التتار الذين خرجوا من أقاصي المشرق حتّى وردت خيلهم العراق والشام، وفعلوا بملوك الخطا، وقفجاق، وبلاد ما وراء النهر، وبخراسان وما والاها من بلاد العجم، ما لم تحدثت التاريخ منذ خلق الله تعالى آدم إلى عصرنا هذا على مثله" شرح نهج البلاغة: ٢١٧/٨.

(٢) لم ترد في الأصل، والمثبت ليستقيم النصّ.

(٣) لم أقف له على ترجمته.

(٤) عاصمة التتر في منغوليا، ابن العبري: غريغوريوس بن توما (ت ٦٨٥ هـ)، تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، بيروت، ط/٣، (١٩٩٢م): ٢٠٥/٦.

(٥) لم أقف له على ترجمة.

(٦) وهم الذين لا يؤمنون بالمعاد (الأخرة) ويقولون ببقاء الدهر، ينظر: الجرجاني البغدادي: عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت ٤٢٩ هـ)، الفرق بين الفرق، اعتنى بها وعلّق عليها: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، (١٤١٥ هـ): ص ١٣٧.

(٧) جنقزخان هذا هو رئيس التتار الأقصى في المشرق، وابن رئيسهم، وما زال سلفه رؤساء تلك الجهة، وكان شجاعاً عاقلاً موقفاً منصوراً في الحرب، ينظر ترجمته: ابن الأثير، عزّ الدين، علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠ هـ)، الكامل في التاريخ، المطبعة الحسينية، مصر (د.ت): ٢٧١/١٢، شرح نهج البلاغة ٢٢٠/٨، ابن أبي الفداء: إسماعيل بن عليّ الحموي (ت ٧٣٢ هـ)، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية، مصر، (د.ت): ١٢٢/٣، الأدهبي، مُحمّد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مُحمّد العرفوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤١٣ هـ): ١٤٢/٢٢، السبكي: تاج الدّين السبكي (ت ٧٧١ هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: مُحمّد الطنّاحي، دار الفكر، بيروت، (١٣٨٥ هـ): ٣٢٨/١، النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣ هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق ومراجعة: مفيد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٢٤ هـ): ٢٠٧/٢٧.

(٨) قبيلة نايمان: إحدى القبائل التركية التي غلب عليها الطابع المغولي، وقد اعتنقت المسيحية، د. عبد الشافي مُحمّد، الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، القاهرة، (د.ت): ٨/٤.

(٩) السّلي: جلدة يكون ضمنها الولد في بطن أمّه إذا انقطع في البطن هلكت الأمّ والولد، الصدوق، مُحمّد بن عليّ بن الحسين (ت ٣٨١ هـ)، معاني الأخبار، تصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقمّ المشرفة، (١٣٧٩ هـ): ص ٣٥٨، قال المبرد: " وتقول العرب عند الشدّة: (قد علا الماء الرّبي)، (وقد بلغ السكّين العظم)، (وبلغ الحزام الطيبين)، (وقد انقطع السّلي في البطن) " المبرد: محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ)، الكامل في اللّغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط/٣، (١٤١٧ هـ): ١٩/١، قال ابن عسّكر: " والعرب تقول في شدّة الأمر وتفاقمه واستشراء الشرّ وتعاضمه قد علا الماء الرّبي، وانفذ في البطن السّلي " ابن عسّكر، أبو القاسم، علي بن الحسن (ت ٥٧١ هـ)، تاريخ دمشق، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، (١٤١٥ هـ): ٣٦٣/٣٩.

فقال بعضهم: إن تشنّنت شأننا وتشعّث أمرنا ونقسّم حالنا ليس إلّا لأنّه ليس فينا سيّد ذو دهاء، ولا حاكم ذو رأيٍ وذكاء، يدبّر أمرنا ويصلح حالنا، نلتجئ إليه عند دهمٍ داهية، أو نشاوره عند صدمٍ باقعة؛ وكل من سوانا لهم رأسٍ وسيّدٍ أيدٍ. فاتفقت أهواؤهم واجتمعت آراؤهم على تسويد واحد منهم فيه شهامة يليق به، [و] (١) لم [يكن به] (٢) رغامه (٣)، ولم [يكن] (٤) جنقز إذ ذاك معهم في هذه المشورة والكنكاش (٥)؛ وأجالوا أذهانهم في كل [شيء] حتى اجتمعت أقوالهم على أنّ [ص/٢] جنقز الحداد، له استعداد هذا الأمر واستحقاق هذا الشأن، ففيه حصافة وكياسة وذكاء وفطنة. فقاموا بأسلحتهم إلى بابه، وأرسلوا من يدعوه لهم، فلمّا أخبر بذلك أوجس في نفسه خيفة وخرج بسلاحه، وقام نبذة وانتبذ ناحية، وناداهم: يا هؤلاء! أظنكم جئتموني بالشرّ، ولعل قليل مالي ملاً عيونكم حتّى أسأتم فيّ ظنونكم، فوالله لا تسلبون مالي وقد بقي في يدي قوسي ونبالي، وإلّا فامضوا على أدراجكم، فإنّ وفري لا يشيع بطنكم ورذاذي لا يسكن علنكم. فقال القوم: ما جئناك مضرّين ولا مغيرين، وإنّما سافنا إليك مصلحة عامّة لا بد لك من إجابتنا إليها. فلمّا سمع ذلك قال: فإنّ كان الأمر كذلك، فارجعوا إلى بيوتكم، وأنزعوا أسلحتكم وضعوها، ثمّ ليرجع إليّ بعضكم، فأرى رأيي. ففعلوا كذلك واتاه بعضهم وبنوا عليه خفيّ أمرهم، فأبى ونبا، حتّى ألحوا عليه. فقال: فإذا كان لأبّد من ذلك، فعاهدوني، وبايعوني على الطاعة والتبّاعة، ولا تخرجوا عمّا أسئله فيكم، ولا تطرحوا يا سادتي، وأوامري، فعاهدوه على الإمارة والرّياسة في الرّعاية والسياسة. وكان لهم عادة سيئة على الإتيان إلى النساء الأجنبيات، وإطالة الأيدي إلى الجوّاري، والسرقّة، وسلب بعضهم مال بعض إلى غير ذلك من الشّيم الرّذيلة والأخلاق السيئة، فأجرى إليهم يأسته، بأن من لم يمتنع عن هذه الرّذيلة الركيكة غير الجميلة، أمرت بقتله، ونهب أمواله وأهله، حتّى امتنعوا عنها وصلحوا. ثمّ قال: فليتهيأ كلّ بما له [ص/٣] من العدد والآلة وليتشمّر.

[حرب جنكيزخان مع النيمانين]

ثمّ أمرهم بالالتجاء إلى أمنع الأماكن وأحنّ المواقف، من غيران بلادهم، وأواديها وأنّ ينزلوا بها حرّمهم وأهاليهم، ومن لا غناء لهم فيما بينهم، ففعلوا كذلك، فأرسل دسيساً إلى أعدائهم نيمانين، وجاسوساً يتجسس من شأنهم ومكانهم، حتّى إذا غاب أهل بلادهم من شجعانهم وذوي غنائهم من منازلهم، لمّا كانوا النيمانون سلابين مغيرين حالاً فحالاً، أخبره الدّسيس بذلك إلى أن اتفقت غيبتهم حيناً من الأحيان، ولم يبق في المنزل إلّا ضعاف الصّبيان والنّسوان، أمر شردمة بالتّهيب للفتك بهم والهجوم عليهم، فدهمهم في منازلهم مغتريين فارغين، وانتهبوا أموالهم الناطقة والصّامتة، واستبوا أزواجهم وأولادهم وجواربهم إلّا ما انفلتت من ريقتهم، رجعوا غانمين سالمين وافرّين، فرموا بأموالهم شعث أحوالهم. والقوم - أعني أعداءهم - إذ ذاك كانوا بالقفجاق (٦)، وهم جمّ غفير من التّرك، فرجعوا بأموالهم وافرّة، فأخبروا بما جرى على مخلفتهم وأهليهم، فاجتمع كبارهم وذوو آرائهم يتفكّرون في أمر الحداد جنقز، وأنّه كيف يُدفع جرأته وجريئته، ويخدم نائرتة قبل هيجان شعلتها، وثوران فتنتها.

(١) لم ترد في الأصل، والمثبت ليستقيم النّص.

(٢) لم ترد في الأصل، والمثبت ليستقيم النّص.

(٣) الدّل، قال ابن عباد: " ولي عند فلان رغامه: أي طلبه ومغضب" صاحب بن عباد: إسماعيل ابن عباد بن العباس (ت ٣٨٥ هـ)، المحيط في اللغة، تحقيق: د. محمد حسن آل ياسين، دار الفكر، بيروت، (١٩٩٤ م): ٨٢/٥.

(٤) لم ترد في الأصل، والمثبت ليستقيم النّص.

(٥) لغة مغولية تعني رجل من رؤساء القبائل، الصدوق: محمد بن علي بن الحسين (ت ٣٨١ هـ)، الخصال، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرف، (١٤٠٣ هـ): ٨٠/١.

(٦) قال القلقشندي: " ويدخل في جنس التّرك القفجاق، وهم الخفشاج، والطغر، وهم التّتر، " القلقشندي: أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ)، قلاند الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبناني، ط ٢، (١٤٠٢ هـ): ص ٢٨.

فقالوا: وربما يكون الالتفات إلى الأمر الحقيق بصير سبباً لفخامته ووسيلة إلى جسامته، بل الإستقامة وقلة الاحتفال به أدعى إلى الحزامة وأجذب للسّلامة.

وقد أخطأوا في ذلك وأسأوا أمرهم هنالك، فإنّ الحكيم قد قال: لا تحقرنَّ صغيرةً فإنّ الجبال من الحصى، وإنّ قليل النار تحرق كثير الدّيار، والفتنة صغيرة، تسكينها أيسر وأسهل ممّا إذا اهتاجت وانبعثت وطالت فروعها ونمت أصولها [ص/٤] ونشعبت أبوابها وفصولها، فقالوا: إنّ هؤلاء لا يلبق بحالنا أن نواجههم كفاً ونقاتلهم جهاراً وشفافاً.

وجنفر لماً أحسّ بهم التجأ إلى بعض رؤوس الجبال المنيعية والأماكن المتحصّنة.

فراى النيمانون أن ينزلوا حول ذلك الجبل بلقهم ولقيهم ويجعجعو بهم حتّى يصيروا مضطّرين، فيكون صبور أمرهم، أمّا دماً أو إساراً، ولم يعملوا أنّ القتل بالحقّ أولى وأجدر، وبذل النّفس ساعة من ذلّها أبداً وأيسر، فاحتفوا بذلك المكان نازلين، وهم - على قلتهم - كالصفور يعبثون بهم ويعيئون عليهم، هجموا عليهم وقتلوا كثيراً منهم وانهزم الباقون، فاستحوذوا على وفورهم وأموالهم وخيلهم وإبلهم وغنمهم، وصاروا مثيرين أغنياء وذهب عنهم القلّ، وفارقتهم المهانة والذلّ، واتصل بهم المستغنون والمستغيرون من كلّ أوب، والتقوا بهم من كلّ صوب، حتّى صاروا جيلاً كثيراً وجماً غفيراً، فبسطوا أيديهم وأطالوها إلى البقاع والبلدان، قسراً وقهراً، وافتتحوها جوراً وجبراً.

[سلطة جنكيزخان على بلاد جين^(١)]

وصار جنقز خاناً كبيراً وأميراً مشهوراً، مبسوط الباع، كثير الجند والتّباع، وطمح ببصره^(٢) إلى البلاد القاصية، والأماكن النّائية، وتردّ إليه التجار وذوو الاختبار والأخبار، يخبرونه بأحوال البلدان، ونواحي الآفاق حتّى استولى على طرف كلّ من بلاد ختاء. وامتنع عليه بعض ملوك ختاء التّون ملك^(٣)، فحاصره بأجناده مدةً مديدةً، ولم يكن يزداد سعيه إلاّ أكداءً ولا ينفعه ذلك إلاّ أجداءً. [ص/٥]

وكان في جنده رجل بارع كامل من الشيعة سديدة عربيّ النّسب واللّسان، يقال له (جعفر خواجه)^(٤) فأتى جنقر ذات يوم وقال له: أيّ شيء كنت تصنع بي من الإحسان إن فتحت لك هذه البلدة، وهي خان بالغ^(٥).

فقال: إنّ نبيسر لنا الأمر على يدك، فلك ملك " التون ملك " وزوجته وسريره.

وكان جعفر قد عرف خفاء طرقها لكثرة ما كان يتجر إليها، فذهب بالجند إلى بعض الطرق، وقبض عليها وافتتحها، وأسر (التون ملك) فقتله جنقرخان، وفوّض إلى جعفر ما عاهده أن يفوّضه إليه من سريره وزوجته، ورجع عنه مع غنائم لا تحصى ولا تعدّ.

[جنكيزخان وسلطان خوارزمشاه^(٦)]

ثمّ هباً جيشه إلى بلاد قفجاق، واستولى على بعضها، فلمّا ظهر أمره وانتشر شأنه حتى نمت إلى سلطان خوارزم، هابه في نفسه، واستقبل الأمر قبل اسفحاله ووباله، وتفاقم نكاله وأثقاله، وبعث إلى التتار بجيشه، فعالجوهم وناوشوهم، ونالوا من التتار أموالاً جمّة وسبائاً كثيرة، وقللوا نابهم وفتوا في عضدهم، وقطعوا طمعهم عن الطّموح إلى بلاد إيران، وما وراء النهر، ورضوا ببلادهم، ومدّوا أعناقهم إلى المصالحة، وأيديهم إلى المصافحة، وسلطان ذلك الأوان يسامحهم ويعاملهم بالمهانة الزّادعة عن تصوّر المهانة من جهة الخصوم، والعقل يقضي بذلك أحياناً، فإنّ لكلّ أمر وجهاً وزماناً ومقصداً ومكاناً.

(١) وهي بلاد الصين، ينظر: الحموي: ياقوت بن عبدالله الرومي (ت ٦٢٦ هـ)، معجم البلدان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د. ت): ٤٩/٥.

(٢) في الأصل ببصرة.

(٣) ينظر: حسن الأمين (ت ١٣٩٩ هـ)، الإسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، إيران، ط/٢، (١٤١٧ هـ): ص ٧٦، الصّلابي: علي محمد محمد، المغول بين الانتشار والانكسار، الأندلس الجديدة، مصر، (١٤٣٠ هـ): ص ٨٩/١.

(٤) ينظر: م. ن ص ٧٦، م. ن: ٨٩/١.

(٥) ينظر: النويري: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد القرشي التيمي (ت ٧٣٣ هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، (١٤٢٣ هـ): ٢٠٧/٢٧.

(٦) ناحية كبيرة عظيمة قصبته الجرجانية، أهلها يسمونها كركانج، وهي ولاية متصلة العمارة، متقاربة القرى، كثيرة البيوت المفردة والقصور في صحاريها، وهي على جيحون، قيل: ثمانون فرسخاً في مثلها، وكلهم معتزلة، معجم البلدان ٣٩٥/٢، مراد الاطلاع ٤٨٧/١.

حتى آل الأمر إلى السلطان محمد وكان ذا شوكة محدباً شديد الغيظ والغيرة، حتى سمعت كثيراً من الكبار أنه كان يلوم أحياناً أباه السلطان على مسامحة التتار، ومداراتهم ويستحثه على تضيق الأمر عليهم والجعجة بهم في داراتهم، فلما آل الأمر إليه هيا لهم جنداً جراراً [ص/٦] يثير على التتر من شدة المكافحة ناراً، وقامت الحرب بينهم على ساقها، وضافت الحجن عن نطاقها، حتى ركب بنفسه إليهم وناوشهم الحرب ونكى بهم نكايه، غير أنه قد تجاوز طوره، وأراد أن يسلك في طلب الملك نجده وغوره، فاتفق أن واحداً من آل جنقرخان أو بعض أبنائه كان ركب للصيد مع جندي جرار كانوا في الحروب كإوارة نار، وافى السلطان في بعض الأماكن، فطالب السلطان بتخليه سبيله وأن لا يتعرض له بسوء، فلم يخل السلطان سبيله ولم يعطه سؤله وأبى إلا التضييق عليه والأسر له ولجنوده، وكان الرجل الخاني موصوفاً بجرأة الجنان ومعتضداً بقوة البنان، عالماً بأعمال الضراب والطعان، فلم ير إلا أن يدهم السلطان ويهجم عليه، فإن خلى سبيله وإلا بلغ عذره، (ومبلغ نفس عذرها مثل منجج)^(١) فزحف بجنده على صفوف السلطان وشقها شق الشعر بالبنان.

فاطلع بذلك على خور عوده الخوارزمية، فشاور في معاونه بنفسه الأبيّة وجنوده التركيّة وفتح فاغرة السيوف لا تبتلع إلا لقم نفوس أهل الصّفوف، وأقاموا حرباً احترق بناها جبهة النثرة، واختفى بغبارها جبهة المجرة، حتى خانت غانية الدولة سلطانها، ووضعت في كف الكفرة ساقها وبنانها، فولى جنود السلطان أديارهم منهزمين، والتتر تكسع على أذنانهم مغتتمين، حتى دخلوا بلاد الإسلام وشنوا عليها ضرام الانتقام، وفتحوا بلدان الملة الإسلامية، وأراقوا دماء أهلها بسيف الحمية، وطردوا السلطان في البلدان تبداً، وجند الكفرة يزداد مدداً فمدداً، فصار السلطان وأهله أثراً بعد عين، وتليت آيات الفناء والحين^(٢).

[جلوس اوكتاي قآن^(٣) على سرير الملك بعد جنكيزخان]

ثم أنه كان لجنقرخان أربعة أبناء: اوكتاي، قآن، وطولي خان^(٤)، و جخطاي^(٥)، و [جوجي آيو] باتو خان^(٦)، فلما كانت السلطانية اخترمت عروقهم وخمدت نار دولتهم جلس (قآن) على سرير الملك، وكان بذولاً للغنائم وهوباً للرغائب، اشتهر في الخافقين ذكر سخائه، وملأ المشرقين رياً بهائه واندائه، أقل صلاته كانت بلداناً معمورة وخزائن موفورة، وبقليل تحفة إليه تناول الولايات وصغير هداياه تجاوز للأعمار الكفريات، حتى مضى إلى سبيله، فصير سرير الملك والخانية خالياً، والأمور موكولة إلى النسوان والصبيان ومع ذلك فملكهم كان مطمئن الأطراف، ساكن التواحي والأرجاء، لما كان باتوخان على مكانه بجنوده الجمّة وأعوانه وأخوه بُركت خان كذلك كان جباراً مع جنود كثيرة العدد والمدد، وكذلك جخطاي.

وكان باتوخان مع كفه قد بلغ في العدل أقصاه، وتجاوز في الانصاف منتهاه، ولم يتعرض من ملوكهم أحد لهدم مباني الإسلام، بل تركوها على ما كانت عليه من حسن النظام، وأمروا بتربية العلماء الإسلامية وتقويتهم وتوفير الوظائف والمرسومات لهم

(١) ينظر: الميداني: أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت ٥١٨هـ)، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، (د.ت): ٨١/٢.

(٢) حبن: الحبن: ما يعثر في الجسد فيقيح ويرم، العين ٢٥٠/٣.

(٣) بعد وفاة جنكيز خان ظل العرش خالياً من ملك لمدة عامين، وأخيراً رأى الأمراء الكبار ضرورة التعجيل بتنصيب خانا جديداً، فتم تنصيب اوكتاي (حاقانا) أي خانا أعظم للإمبراطورية المغولية، وذلك في القوريلتاي الذي عقد لهذا الغرض في ربيع سنة ١٢٢٦هـ/١٢٢٩م) بعد ذلك قام الخان بتوزيع الأموال على الأقبارب والعشائر، كان اوكتاي ولوفاً إلى أقصى حد بالشرب والإدمان على الخمر وقد تسبب هذا في ضعفه يوماً بعد يوم، ولم يتيسر الخاصة ولا الأصفياء منعه من ذلك، بل كان يكثر من الشراب رغماً عنهم وعندما كانت جيوشه تحارب في أوربا، ظل مدة سبع سنوات عاكفاً على اللّهر والمتعة والشراب إلى أن أثر هذا على صحته، وفي إحدى الليالي عندما حان أجله، أفرط في الشراب، فتوفي وهو نائم وكان ذلك في سنة (٦٣٩هـ/١٢٤١م)، ينظر: المغول بين الانتشار والانكسار ١٧٢/١-١٧٣، المغول للصيد ص ١٦٥.

(٤) ينظر ترجمته: ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد المغربي (ت ٨٠٨ هـ)، تاريخ ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، (١٣٩١ هـ): ١٢٠/٥، القلقشندي، أحمد بن عبدالله (ت ٨٢١ هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت): ٣١٢/٤، العيني: بدر الدين محمود (ت ٨٥٥ هـ)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، حققه ووضع حواشيه: د. محمد أمين، دار الكتب، مصر، (١٤٠٨ هـ): ٢٢٩/١.

(٥) ينظر: صبح الأعشى ٣١٢/٤، الكوراني: علي العاملي (معاصر)، كيف رد الشيعة غزو المغول، مركز العلامة الجلي الثقافي، الجلة، ط/٢، (١٤٣١ هـ): ص ١٢.

(٦) وهو أكبرهم، ينظر: صبح الأعشى ٣١٢/٤، كيف رد الشيعة غزو المغول ص ١٢.

وعليهم، وأمروا برد الحكومات إلى قضاء الإسلام بالقضايا الشرعية إلى الأئمة والحكام، واحترموهم ووقروهم حق التوقير، ولم يؤذوهم بنقير.

[سلطة كيوكخان ^(١)]

ثم جلس على سرير قآن ابنه كيوكخان، وكان قصير العمر، قليل العيش والأمر، واهتاج بين الأولاد الجنقزخانية أجل وشورور في طلب السرير و[ص/٨] سياسة الجمهور، وكان جخطاي أيضاً قد مات، وبقيت أبناؤه من جملة طلاب الملك حتى أن كثير من كبارهم وخيارهم اشتغلوا بالكنكاش، فاتحدت كلمتهم على أن يكون صاحب السرير، من استأهله باتوخان وتوجه وسوده هو؛ لما كان أكبرهم سنّاً وأكثرهم جنداً وأثراهم وفراً.

اختلاف المغول على السلطة وجلوس منكوخان ^(٢)

وكان بقي من أولاد طولبخان: منكوخان، وهولاكوخان، وقبله، وبوجي، وكان باتوخان بعيد الأردو منهم - والأردو عندهم المعسكر والمنزل - فأمر القوم - من جملتهم منكاخان - بأن يذهب إلى أردوا باتوخان مع فريبان؟ فيه صور وأشكال وتخطيط لمن لهم الاستعداد السرير وصلوح القآنية وضبط الملك.

فذهب إلى حضرة باتوخان وأقام عنده برهة من الدهر حتى أطلع باتو على حاله جملة وتفصيلاً من حدة ذهنه وحصافة عقله، وثباته عند المهيجات، وأطمينانه عند نزول إحدى المقلقات، وفرط وبصيرة رأيه ودهائه؛ وتقرس فيه الإرتقاء إلى أعلى مكان علاقته. فأمره بتقلد أمر الملك والجلوس على سرير القآنية والنصدي لترتيب أحوال الدهماء وضبط مصالح المملكة من استجلاب التوفيرات وإزالة الغمء.

فلوى عن إشارته رأسه وأبى إلا بترك ذلك الأمر ومراسه، فاستأذن الخان، فلم يأذن له، حتى أتفق ذات يوم أنه برز باتوخان إلى الخلاء، إذ وافاه منكوخان من فوره، فأمر الخان بلزوم مكانه حتى يخرج، فمكث حتى برز، فإذا وصل إليه قعد له في شوكة - والشوك معرب جوك - وكان ذلك الفعل منهم أعلى أنواع الاحترام والاحتشام [ص/٩] وكان صفة ذلك أن يضع إحدى ركبتيه إلى القدم منبسطة على الأرض رافعاً أخرى، واضعاً يديه معاً على ركبتيه المرفوعة.

وقال له: بوركت في صيرورتك مالك السرر وسائس الأمور للجمهور، وهو يأبى ذلك ويقول له: إنك، وإن سؤدنتي وملكتي وعظمت شأني ورفعت مكاني، غير أن طلاب هذا السرير وخطاب هذا الملك كثيرون، وكلهم أبسط مني باعاً، وأكثرهم أعاوناً وأشياء - وكان هو نزر المال، قليل المنال، هين الأمر - وإني سأصير بالتعرض للملك، طعمة للتوي والهلك، وهدفاً لسهام الخصام، ودرينة لرماح الانتقام، والخان يأبى إلا تقليده ذلك الأمر، وزين له في ذلك الأمر الصبر.

فلما رأى أن لا محيص عن ذلك الأمر قال له: أقبل على أن تعاهدني وتعاقدي على ترك الاعتراض على ما أمرت به من المصالح.

فأعطاه مناه، ووهب له سؤله وما يهواه، وألبسه من خلع الملوك ما كان أعلاه وأسناه.

(١) استلم كيوك خان (٦٤٤ - ٦٤٧ هـ = ١٢٤٦ - ١٢٤٩ م) الملوكية على أثر وفاة أوكتاي، اضطربت أحوال المغول، واختلفوا على من يخلفه على العرش، فبعد صراع كبير اختير كيوك خان خانا أعظم للمغول، وفي سنة (٦٤٤ هـ/ ١٢٤٦ م) انعقد القوريلتاي على ضفاف إحدى البحيرات غرب منغوليا، فاقترح أغلب الحاضرين انتخاب كيوك خان، أعظم للمغول ولكنه يعتذر محتجاً بضعفه ومرضه وفي النهاية قبل أن يتقلد هذا المنصب نزولاً على رغبة الأمراء بشرط أن يكون الحكم وريثاً في سلالته، فوافق الجميع على ذلك، عندئذ خلع الأمراء قلائسهم، وحلوا أحزمتهم، وأجلسوا كيوك على العرش ثم أخذوا الكؤوس، وركعوا أمام عرشه، وأعلنوا انتخابه رسمياً خانا للمغول واستمروا يحتفلون بهذه المناسبة مدة أسبوع وكان كيوك يقوم بتوزيع الأموال على الأمراء ورؤساء الفرق، وافاه الأجل المحتوم في ربيع الثاني سنة (٦٤٧ هـ/ ١٢٤٩ م)، ينظر: رشيد الدين الهمداني: فضل الله بن أبي الخير (ت ٧١٦ هـ)، جامع التواريخ، لندن، (١٩١٠ م): ٦٢٢-٦٣، تاريخ مختصر الدول ص ٢٥٧، المغول للصيد ص ١٩٤، المغول التتار بين الانتشار والانكسار ١٧٩/١-١٨٤.

(٢) تمّ تنصيب (منكو) خاناً أعظم للمغول بصفة رسمية في شهر ذي الحجة سنة (٦٤٨ هـ/ ١٢٦٠ م) في منطقة قراقورم، وذلك رغم أنف المعارضين وفيه أعلن انتخاب منكو رسمياً ولكن المناوئين لسياسة منكو لم يخضعوا لهذا القرار، وحاولوا تدبير مؤامرة لقلب نظام الحكم بالقوة، فعلم بذلك منكو في الوقت المناسب وتمّ القبض على المتآمرين قبل تنفيذ خططهم وأمر بضرب أعناق الأمراء المعتقلين ووضع جمعاً آخر في مكانهم، ينظر: المغول للصيد ص ١٩٥.

[منازعة منكوخان مع المعارضين لسلطنته]

ويلغ ذلك من احتبائه بسرير الملك الذين كانوا ينتظرون أن يكون الأمر لهم، فتتكرروا وتغيروا وأخذوا يعدون مكائدهم لدفعه، وينصبون حباتهم لمنعه، وهو قد أحسَّ بذلك، وكانت بعض زوجات جنقرخان في الحيرة متعززة بأولادها وأقربائها، هم جمٌّ غفير لا يجترأ عليهم ولا يطاق لإيصال الشرِّ إليهم ذوو منعة وغناء وشجاعة وبلاء لا يهاب جانبهم ويُرهبُ شذاهم، وكانوا راضين بكونه صاحب السرير وحامي الحوزة وراعي المملكة، فصار إليهم ونزل لديهم واستعان بهم واتَّخذهم [ص/١٠] جُنَّةَ الدفاع وسترة الامتناع، وأرسل إلى من كاد تطير نغَر الامتناع في دماغه، ودبَّت وساوس التمرد في صدره، من يدعوهم إليه.

وكان أشدهم بطشاً وبأساً وأعزهم جنداً وأناس سيرمون وكانوا إخوةً هو وخواجه أغل، وناغو، وكان أحفاد [أوكتاي] قآن، فلما بلغهم أمره، تمردوا وتكروا واستخفوا بشأنه وقالوا: ما هو والملك، ومن أين يستحقه؟

وركب سيرمو [ن] في جند جرار يأتيه، وغرَّ الصدر مملوءً من الغيظ والغضب عليه، وكان فتى السن، ريق الشباب، مغروراً بشبابه وأصحابه، فأخبر بذلك منكاخان حتى هاب جانبه وأشفق منه، وكان بعض مقربيه قال له: لا تهبه، فإنِّي كافيكه بأهون سعي ودافعه بأسهل أمرٍ، هيء لي مائة من أهل الغناء والفرسان الباسلين حتى أتيك به مغلولاً مأسورا.

فلما سمع ذلك منه سكن جأشه وزال استيحاشه، وهياً له الفرسان الشاكي السلاح، وخرجوا ولم يعلم بأمرهم، وكان سيرمون يأتي منتجعاً متصيِّداً، لا يبالي بأحد، ولا يتحدَّر لشيء، حتى كان يضرب بخركاهاته على أطراف العسكر ونواحيه.

وكان صاحب الفرسان المائة يعلم منه أمره ويعرف شأنه وسيرته، فأتاه فجأةً وهو في خركاهة^(١)، رخي البال مع شردمة قليلين، ودخل عليه بأصحابه المائة وقال: أجب منكاخان فإنه يدعوك، فامتنع عليه واستعصى، فأطالوا إليه اليد كالباشق المنقض على صيده، وقبضوه ووضعوا عليه فدَّ الإسار وساقوا بدوابهم سوقاً [ص/١١] عنيفاً أبعدوه عن منزله بمنازل، حتى إذا اجتمع جنده وجيله، تصعبت إليه سبيلهم وضاق عليهم نطاق التلاقي؛ والقوم أتوا به منكاخان صيداً مقيداً وأسدًا معيداً.

ثم بعدُ أخذ يرسل جيلاً بعد جيل، يقبض على كبار جند سيرمون وسراته وذوائبه ووجوهه وإخوته وجميع من تقرب به إلى أن لم يبق منهم إلا عجة ضعيفة لا دفاع لهم ولا امتناع، فاستصلح بذلك حاله ورئس بالملك والحكم نباله، وتمَّ أمره وعظم شأنه وعلا مكانه، واصحرت قبابه واستظهرت جنوده وأصحابه حتى أقام يرغو المأخوذين، واليرغو هو القضاء والحكومة عندهم.

وسأل سيرمون عن تمردده واستعصائه؟

فقال: كنت أمتثل لأمرك وأنقاد لك، غير أنَّ الجند منعني من ذلك، وأنا كما ترى جديد سربال الحادثة، اغتررت بهم، وإلا فأنا بروئ الساحة عن عصيانكم.

فلما سمع منه كلامه، قال: لا شك أنَّ هذا حدث مأمور، فأحرَّ أمره، وأمر بحفظه في القد.

وسأل أخاه خواجه أغل من عصيانه وطغيانه وتأخره وترك طاعته والاستخفاف ببياساته، فتعلق من الأعدار بمثل ما تعلق به أخوه من كونه محمولاً مأموراً حتى قال أحد من أرسله إليهم الخان: أنه كان متمرداً عاصياً خارجاً عليك، طارقاً لأمرك غير أنَّ خاتونة فلانة منعته من ذلك، وأمسكه بعض الإمساك.

فتلنَّ أمره بسبب ذلك ووهبه لخاتونه، وخلَّى سبيله على أن يكون مشتغلاً بشأنه غير متجاوز عن حدِّه.

وأمر بقتل من كان مادةً للفتنة، ومهيجاً للشرور وذوي العيث الفتانين حتى أكثر من قتلهم ولم يبق إلا قليلاً من نسلهم إلى أن حملة الفكر في العواقب والنظر في مصائر الأمور على قتل سيرمون، وأخيه خواجه أغل، فاستقرَّ إليه الملك واستتب الأمر وأذعن له المتمردون، وانقاد له الغاعة المستعصون، ولا يزال كان يقتل من كان يظنُّ به شرّاً ويحسُّ منه ضرراً، حتى اخترم نواجم الفتن واستأصل عروق المضار والمحن.

(١) كلمة فارسية معناها: الخيمة الكبيرة، الذهبي، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤١٣هـ): ٥٦٥/١٩.

ثم إنّه لما تهيأت له أسباب المملكة ووصل الصّلاح والنّجاح شأنه واستمر مرائر تمكّنه واستيلائه، ومطرت عليه من إقبال الدهر شأبيب أنواته، شاور بعض مقربيه وأمنائه في كيفية ضبط الأمور وتوظيف المعاملات وتوفير الولايات.

[هجوم هولكو على بلاد إيران وقلاع الإسماعيلية]

وكان من عادتهم أنّ من جلس على سرير القانّية ركب بنفسه مع الجيش إلى بعض بلدان الأعادي، واستخلصها وافتتاحها، فكان يتهبأ للركوب إلى ذلك، فقال له ذلك المقرب- وكان داهياً: إنكم لأربعة إخوة، فليتوجّه إختك إلى جانب شاهراً سيفه بجنوده، مستخلصاً للبلاد ومستأصلاً عروق ذوي العيث والفساد، واطمئن أنت على سرير الملك رفيه الحال، خليّ البال، فارغ القلب، ساكن الصدر والجانب.

فاستجاد ما أشار إليه الرّجل، وطاب عنده ذلك الكلام المرتجل، فبعث أحد أمرائه مقدماً لجيش أخوين إلى جانب المغرب، اسم ذلك الأمير (كت بوقاء)^(١)، وكان ذا رأي [ص/١٣] ودهاء، أمره بلزوم قلاع الإسماعيلية وافتتاحها وقلع أرومتها واستيصالها حتّى إذا وصل إلى مواضع قلاعهم استحشد واستجاش عن البلاد، حتى جمع أجناداً كثيرين، وأمر حول كلّ قلعة بحصار وخذق، وبنى البيوت متصلة بالحصار، ووكل عليها من الجند بقدر ما يحتاج إليه ذلك المكان للاستدفاع، وكذا صنع هذا الصنيع بجميع قلاعهم من أقصى خراسان إلى آخر مازندران، وججع بتلك الملاحدة الغادرين حتّى افتتح جميع القلاع والسياسي إلّا جردكوه، والتون، والقائن، والموت^(٢)، لكن لم يخلها عن المحاصرة والمحاربة والضرب بالمجانيق والرّمي بالنيران وغير ذلك.

ثم أمر منكاخان أخاه هولكوخان بالركوب إلى جانب المغرب في جيوش لا يحصيها إلّا من أحصى رمل عالج، حتّى إذا بلغ خراسان مرّ بتون وقائن فانتحها بزحفه من جنده إليها، وخربها وسبى منها عقائل بدناً وأموالاً وافرة، وغنائم، حتّى ملأ خراسان بسبي الملاحدة ويرادجها.

ثم مضى منها حتّى بلغ (جردكوه) ورأى منعته وحصانته، وأنّ أصلها ثابت وفرعها في السماء، وأنّ بالرّحفات لا تستخلص ولا تفتتح، خليّ عنها بجيشه وأمر بمحاصرتها على ما كانت تحاصر، ومضى بـ(قلعة الموت) ونزل في حضيضها بخيله ورجله، قضاً بقضيضها.

[خورشاه الإسماعيلي، نصير الدين الطوسي والمغول^(٣)]

وكان المالك لأمر الملاحدة إذ ذاك أحد الإسماعيلية الكيا محمد بن الحسن الذي كانوا يسمونه القائم بأمر الله [ص/ ١٤] وكان على ما سمعنا قد قتله أحد بنيه عمّاً قريب، وجلس مكانه ابنه خورشاه، وكان وزيره نصر الدين الطوسي، تحرير الدهور ونادرة العصور، فتشاور خورشاه ونصير الدين، وكان خورشاه شاباً لم يمرس^(٤)، الأمور ولم يعهد المحن والشور، و [كان]^(٥) نصير الدين شيخاً أكل الدهور، وكان محبوساً من جهتهم مذ سنين في الموت، حتّى قيل إنّ قلبه كان مائلاً إلى إفساد أمرهم ونكت شرورهم. فلما رأى هولكو قد احتفّ بها، قال لخورشاه من طريق علم النجوم في الظاهر: إنّ صلاحك وصلاح أهلك وبلادك النّزول عن هذه القلاع والهبوط عن هذه التّلاع، فإنّ لا دلنا مع هؤلاء الامتاع والدّفاع.

فقاوموا يوماً واحداً زحفه الجيش إلى القلعة، ثم أرسلوا إلى هولكو غداً بالنّزول على حكمه والامتثال لأمره، فنزلوا، وما عقده الآباء الحكماء في سنين قد حلّوا، وعن مركب الملك والعزة قد ارتجلوا، وإن كانوا ظانين أنّ [بعد]^(٦) عزل العهد والحلف مع هؤلاء الأمغلة قد قتلوا.

(١) ينظر: تاريخ ابن خلدون ٧٠/٥.

(٢) ينظر: معجم البلدان ٦٢/٢، ٤١٦/٤.

(٣) ينظر: الإسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي ص ٨٥.

(٤) في الأصل (يضرس).

(٥) لم ترد في الأصل، والمثبت ليستقيم النصّ.

(٦) لم ترد في الأصل، والمثبت ليستقيم النصّ.

فلما هبطوا ضيق عليهم وأرسل إلى منكاخان، خورشاه، ثم في طريقه قتل، ثم قبضوا على حرمه وأولاده وأحفاده وأمواله وغنائمه المذخورة على أيدي الكسابين مذ سنين، وقتلوا [عن^(١)] آخرهم قتلة سيئة، وأمر هولاءكو شبان جنده بمواقعة بنات الكيا محمد وأزواجه [و^(٢)] جواريه على الملاء الحاضرين، وكان أحد بنيه حاضراً، وكان إذا أعرض بوجهه عن مشاهدة تلك الحالة المستشعنة والحادثة المستفظة أمر بلكره في قفائه يتوجه إلى صوب تلك الفعلة [ص/١٥] ويشاهدها وينظر إليها.

ونعود بالله من سوء العاقبة وخذلان الخاتمة وأمر بتخريب الموت وهدمها واستخلص الإمام نصير الدين لنفسه بوفور علمه ولا سيما في علم الحكمة وهيئة النجوم والحقائق الأفليديسية وغيرها من العلوم.

وهولاءكو هذا كان رجلاً عظيم البطش، عضوب النفس، سريع القتل، ذا مهابة، وكان أهون تأديبه إعمال السيف، ومقدمة غضبه إراقة الدم، وكان ذا صمة عليّة، وسخاوة جليّة، محباً لأهل العلم مقرّباً لهم، مستقيم الطالع، مقبلاً في الأمور.

ثم رجع منها بأموال جمّة لمة، لا يحصى حصرها، ولا يسع أقلام الحسبة عدّها، وأمر بها إلى حضرة أخيه منكاخان، ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾^(٣).

[توجه هولاءكو إلى بغداد بعد أخذ قلاع الملاحدة]

ثم إنّه لما فرغ من تهديم صياصبيهم وقلاعهم وتقويض أركانهم وتخريب بنيانهم وقتل شبيهم، رتب جيشه متوجّهاً إلى بغداد مستوفراً مستعجلاً.

وكان من أمر بغداد أنّ خلفاءها العباسية لم يكونوا يحتفلون بملوك المغول في مبدأ أمرهم ولا يعتدون بهم، ومع ذلك صاروا يوافقون الإسماعيلية، ويحابون ويؤادون متشيعيهم، ويستعينونهم في الأمور، ويستمدون بفدائيتهم، وملوك المغول كانوا يتسامعون بذلك، لكنهم يسامحونهم ويساهلونهم ويستدرجونهم من حيث لا يعلمون، وهم لا يزدادون إلاّ تغافلاً وتجاهلاً، وعن ذلك كانوا إذا وصل بغداد تجار بلاد المغول تحسّوا من حالهم، فإن علموا أنّهم من جهة المغول، أدخلوا أيديهم في أموالهم، وكان رُسل المغول إذا وصلها يحبسونهم في البيوت، ويضيّقون عليهم في المأكّل والمشرب ويحتقرونهم احتقاراً ويستخفّون بهم استخفافاً حتّى توجه [ص/١٦] إليها ذات سنة جيل من المغال الشُرماغونية، وكان - شُرماغون من كبار أمراء جيشهم - الموكّلين على سواد العراق، الضّابطين لها بمقدار ثلاثين ألف فارس، ونزلوا بباب بغداد حتّى إذا خرج جيش بغداد ناوشوا الحرب، وظلّوا يومهم، فلما جنّ عليهم الليل، ركل جيش المغول الأرض بساقهم وانهمزوا أو تهرّموا بانفاقهم، ولعل ذلك كان تجربة منهم لأهل بغداد وامتحاناً لهم، وعجماً لعودهم.

ثمّ أهلوا سنين إلى أن بلغ هولاءكو وتوجه بجيشه إليها والخليفة المستعصم بالله^(٤)

كان يرى أن لا مبالاة له بهم، مع أنّه كان يؤدي إلى ملوك المغول كل يوم ألف دينار خليفية، وتمكّث غير مهيب لجيش يقابلهم أو يقائلهم، كالصّبع تنام على طول اللدم في وجارها والمُرصد لها قد وصل باب دارها، ولم يتعرّض، لا للسلّم ولا للحرب، حتّى خيم هولاءكوخان بباب بغداد، واحتقوا بها إحاطة المقلّة بإنسانها، والدائرة بنقطتها، بعد أن أوقدوا نيران الإغارة والقتل على ما حولها من القرى والأماكن المعمورة، وسبوا أهلها وقطّانها حتّى فرّ إلى بغداد من انفلت من سيفهم أو تخلّص من خيفهم، اعتماداً منهم على أنّ الخليفة يقوم بدفاعهم ويجبّهم أشدّ جبهة، وهو يتناوم حتّى إذا انتبه من رقدته وتيقّظ من سكرته، كان المجال قد ضاق، والعدو أخذ بكظمه ومساع ريقه، وقبض على منتفسه، و(اتّسع الخرق على الرّاقع)^(٥)، و(بلغ الحزائم الطّيبين)^(٦)، فأمر بتطبيق أبوابها وتعليقها، ونصب

(١) لم ترد في الأصل، والمثبت ليستقيم النصّ.

(٢) لم ترد في الأصل، والمثبت ليستقيم النصّ.

(٣) الأنبياء: الآية ١١.

(٤) عبد الله (المستعصم) بن منصور (المستنصر) بن محمد (الظاهر) بن أحمد (الناصر) الهاشمي العباسي البغدادي، وكنيته أبو أحمد، آخر خلفاء الدولة العباسية في العراق، ولد ببغداد سنة (٦٠٩هـ)، وولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة (٦٤٠هـ) والدولة في شيخوختها، لم يبق منها للخلفاء غير دار الملك ببغداد، فألقى زمام الأمور إلى الأمراء والقواد، فزحف هولاءكو سنة (٦٤٥هـ)، وخرجت إليه عساكر المستعصم فلم تثبت طويلاً، ودخل هولاءكو بغداد، ومدة خلافته (١٥) سنة و ٨ أشهر وأيام، وبموته انقضت دولة بني العباس في العراق، وعدة خلفائها ٣٧ ملكوا مدة ٥٢٤ سنة، ينظر ترجمته: شرح نهج البلاغة ٢٣٩/٨، سير أعلام النبلاء ١٧٤/٢٣.

(٥) ينظر: أبو هلال العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى (ت ٣٩٥هـ)، جمهرة الأمثال، دار الفكر، بيروت، (د.ت): ١٦٠/١.

(٦) ينظر: جمهرة الأمثال ٢٢٠/١، مجمع الأمثال ٤٢/١.

المجانيق والغردات، فلما زحف جيش المغول زحفاً أوقعوا في الأرض رجفةً [ص/١٧] وردوا عن رؤوس الحصار كثيراً من رجالها بالنبال، وأذاقهم سمّ النّصال، وأصلوهم سعيير القتال، أنهى إليه أنّ الأمر أمر، والشّرّ شمر، وحشو السّلامة ضر، وفطن بتضييعه أمره وأنّ رخاء العيش غره.

وكان وزيره أساءه وأذاه وأمال عن نفسه هواه، فكان لذلك ضلعه مع المغول وميله إليهم إرادةً للانتقام، وجزاءً عن مساعته معه وبه، فكان قد حثهم على بغداد سرّاً وجرهم إليها جرّاً، فإذا كان الأمر كذلك فلم يرّ الخليفة إلا أن يعرض عليهم المصالحة، ويترك المطافحة.

وهولاكو أيضاً قد أظهر له قبوله، وأن يعطيه مسؤوله حتّى سمعت غير واحد ممّن شاهد ذلك الأمر أنه أرسل إلى الخليفة مروغاً له، مخاطلاً بأنّي أريد مصاهرتك ومواصلتك بكريمة وكريم منّا ومنكم، حتّى غره واستدرجه وأبهم عليه أمره، ونهى جنده [عن الحرب] بإغمار السيوف وإزالة الحرب عن أماكنها، وتقويض الصفوف، واستدعاه أن يخرج عن البلد أمراء الجيش على طريق المزورة والمصالحة حتّى أخرج أدواء القوم وذواتيهم عن البلد إليه، ثمّ خرج هو أيضاً بطمه ورمه في أربعمئة رجل من وجوه قومه ورؤوس أهله متعممين بالعمائم السود، كأنهم المصابون بتدبير السّلامة والجدود.

[كلام هولاكو مع المستعصم بعد تسليمه]

فلما رأى هولاكوخان أنّ الأسد تردى في زبيته، ووقع في حبالته، اغتم اصطياده وأدى ما عن زمان طويل أراده، وانتهاز في شدّة ضبته فرصته، من قبل أن يمارس غصته، ويظيل في معالجة الأمر قصّته، وقبض عليه وعلى موكبه، وأذراه عن ظهر جدّه ومركبه مكبولاً في عقد القدّ، مدوّخاً تحت الأسر [ص/١٨] والشّد، مخطوفاً بإكباب الجدّ وإضاعة الجهد والجدّ.

ثمّ أمر بالقبض على فؤاد جيشه وقيام ملكته وعيشه وسادات حلقتة، وسروات بلدته، وفرسان جنده وشجعان جيله، وأمنائه وقرنائه وأولاده وأقربائه وابنيه اللذين استصحبهما إليه على إرادة أن يكرم مثنواهما لديه.

ثمّ أمر بإراقة دماءهم وقطع نداءهم على شاطئ دجلة وحواليها، وكان لم يقتله بعد، فأقامه بين يديه مغلوباً مكبولاً ناظراً إليه قتلته، منكوباً عليه شزره وفتله، ضاحكاً عليه جدّه، مضيقاً عليه جدّه، مفرعاً جدّه، مفللاً حدّه، ذائقاً ما أذاقه أباه الظلمة أهل البيت النبويّ، لابساً ما ألبسوه على الزهط العلويّ، فأخذ يبيّته ويغنّفه ويذكره ما ارتكبه من الأفاعيل القبيحة والأعمال المستشنعة الكاملة في الفضيحة، ويقول له:

هل كان شرب الخمر، وضرب الدّفوف والطنبور، والملاعبة بالملاهي، ومعانقة المقابح والمناهي دأب نبيكم مُحَمَّد (o) وشريعة مصطفاكم؟

أو كان اللواط بالغلّمان والاجتماع بالولدان والاشتغال بالمعازف والقيان من سيرته وطريقته؟

وعدّ عليه من منواته ومدّماتيه ومعابيه ومسبّاته ما استحى منه إبليس وجنوده، وخجل منه النمرود ووفوده.

وقد أحضر ما أخرج من داره من أنواع الملاهي من الدّفوف المرصعة والصفانات والبرابيط والعيان المذهبة وجميع أثاث الشراب والخوابي المملوءة من الخمر الذهبية وأوانيها الفضية والقيانات المغنّية والجواري المطربة والغلّمان الرؤد الحسان والمسبكرات الرقاصة وفنون أداة الميسر من النرد والشطرنج المرصعة [ص/١٩] إلى غير ذلك^(١).

فلما عدّ عليه جميع مساويه، وثب عليه بنفسه، وزينه زينةً في كسحه، [وقال]: أقتلوه ركلاً بالأرجل ولكزاً بالأيدي من غير أن يشنقي بشفرة سيف، وكان قبل قتله، قتل بين يديه ابنه أبا بكر، فأمر أن يلقي حواؤه إلى ضواري الكلاب، وعتاة العقبان والغراب.

(١) ومع هذا فقد كان إمام ومقتدى الأمة إلى هذا اليوم.

[هجوم المغول على بغداد]

فلما فرغ من أمره وإماتة ذكره وإطفاء شعلته، وإخماد جمرته، وجزاه عن بطنته وفتنته وأراح العالمين من شرّ شبيته، أمر جنوده المغالية ووفوده التركية التاتارية بالزحف إلى بغداد وقتل أهلها ونهب أموالها وسبي جواربها وأطفالها، فشدوا شدة الليوث غدا وهي غضاب، وكروا كزة الذباب إلى التغذ وهي من الجوع في عذاب، وركبوا كالصوب اهاطل والسيل الهائل، والجمل الهائج والبحر المائج، متمسرين للانتهاج، متهيين للاستلاب، صابئين عليها سياط العذاب، وغشوها من غير دفاع ونزاع، شاهرين سيوف الغضب مع قلوب موقدة ولاكا اللهب على أولئك المسلمين والمؤمنين، وأذاكوا عليها ضرام الانتقام وشرر الشر والخصام، وألهبوا عليها شرارة الإغارة، وأورة البوارة^(١)، وأوقدوا عليها من نار القتل والاستيصال والإسار ولظى الحروب والكروب والتبار.

فماذا أقول ممّا أبدوا بها من تخريب القصور والديار، وتحريق البيوزت بنار الضرار، ووقع الشغار، وسلّمهم سيوف الحتوف على أهلها زحوفاً، وألوفاً بعد ألوف، ومشقههم بالرماح الطوال، ورشقهم بالنبال، نوات النصول والنصال، ثغر النساء وإليات الرجال وأفواه الولدان والأطفال و [ص/٢٠] الشبان وأولات الرعات والحجال، وإسالتهم أنهار الدماء حتى لم يميّز مجرى دجلة، أمجري الدماء هو أم الماء، وقتلوا قتلة لم يسمع بمثها تحت السماء.

فأنت يا أخي! بشواطئ الشطّ، وكم بها من صرعى صائرين طعمة للسيد والأسود، وقتلى مكبوبين على الأذقان والخذود، والرضع المدحرجين بأسل السيوف من المهود^(٢)، وقد صارت جماجم الرؤوس ملتطم قوائم الأفراس، وعظام المتون والخواصر مُزرحم الأوظفة والحوافر، وكم من جياح الضبايع وعرثي^(٣) السباع قد شبت بطونها إلى سنة من أشلاء الصراع وأعضاء المنزوفين الصراع، وكم من عقبان ونسور قد أودت بها التخمّة من لحوم الوجوه والصدور، وقلع الظهور والنحور.

[ميراث العباسيين على أيدي المغول]

وشدهم الباقيين من الشبيب والشبان والمترععين والغلمان، والعقائل البدن السمان والشباب^(٤) الغيد الحسان، والخرود النواعم، نعومة الرطب من الأغصان، والعداري الأبار كأثها جوارب الجنان، جعلت في شدّ الوثاق وقدّ الرّباق^(٥)، مغلولة الأيدي إلى الأعناق، مبيعة بثمانٍ بخسٍ في الآفاق، لاسيما في كور خراسان والعراق.

وما عسى أن أقول من الخزائن القديمة والدقائن الجسيمة والطرف التل الوفرة، والغنائم الجمّة الدثرة، والمذخورات الموروثة، خلفاً عن سلف التي لم يُطل إليها أيدي تلف، والنقائس المحفوظة مذ زمن الأموية ودول العباسية، والعناق ذوات الأمهار والأسلحة والأمتعة التي لا يحصيها فكر الاعتبار في طول الليالي والنهار.

حتى سمعت أنهم جمعوا أنواع تلك البقاع والتواحي لحمل ما نهبوا وسلبوا وجمعوا منها، واختزنوا، فما كادت تحمل إلا القليل من تلك النهب والنقائس [ص/٢١] الخطيرة والغنائم الكثيرة.

وكان [العبا] سيّة^(٦)، على ما هو معروف من حالهم يحبسون أقرباهم صغاراً وكباراً ويوكّلون عليهم الحامين والبطارقة حتى كان [المولود]^(٧) يشيب ولم ير إلا مولده، فإذا دخلت الأمغلة بغداد^(٨)، قتلوهم عن آخرهم حتى لم يبق منهم نافع ضرام^(٩)، ولا حاكم كلام.

(١) ينظر: الفراهيدي، الخليل بن احمد (ت ١٧٥هـ)، العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي- د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.ت): ٣٠٣/٨، ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، بيروت، (٤٠٤هـ): ١٦٣/١.

(٢) في الأصل (الملود).

(٣) العرث: الجوع، ينظر: معجم مقاييس اللغة ٤/٢٢٤.

(٤) في الأصل (الشراب).

(٥) الرّبقة: الخيط في العنق، ينظر: معجم مقاييس اللغة ٢/٤٨١.

(٦) في الأصل (العبا).

(٧) في الأصل (المود).

(٨) في الأصل (البغداد).

(٩) ينظر: تهذيب اللغة ٦/١٦٧.

واستأصلوا ملك العباسية واخترموا عروقهم، وأخذوا رعودهم بين الخليفة وبروقهم، وخربوا ديارهم، وطمسوا آثارهم ولبدوا غبارهم، وأطفأوا أنوارهم وأنصبوا أنهارهم وجعلوهم مطموسي الرسوم، مخفيّ البذور والتجوم، وجعلوا قصورهم قبورهم، وجزّوهم شرورهم وغرورهم، ورجعوا إلى صدور بهتانهم وزرهم □ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ □^(١).

[جريان سنة الله على العباسيين لظلمهم على الشيعة والعلويين]

وكان الخليفة المستعصم هذا أمر تعصباً وعداوةً بالإغارة على أهل الكرخ من بغداد، وقتل أهلها وسبى جواربها حتى دخلوا على البنات العلوية وغيرها من الشيعة، وأخرجوهنّ من ديارهنّ سبايا يُبعنّ في بغداد، وأمواهم كذلك، وكان أرسل لذلك الأمر بأهل كرخ ابنه أبا بكر .

فلم تنقض تلك السنة على تلك الظلمة حتى أذيقوا من مثل تلك الكأس، وأشربوا من تلك الجُرَع من البأس، وصدق الله بهم قوله:

﴿ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾^(٢).

وجرى على سنته المحمودة، وطريقته المعهودة ﴿ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾^(٣).

وكانت جرت وقعة التاتار المغول وشدة وطأتهم وصعوبة فتنتهم على بغداد وما حولها من البلاد المعمورة والأمصار المشهورة [

ص/٢٢] في سنة ست وخمسين وستمائة.

أما على نفس بغداد، ففي إحدى جمعات، وسط شهر محرّم من التاريخ المذكور.

[قصيدة المؤلف حول سقوط بغداد]

هذه الأبيات للمؤلف عند سماع وقعة بغداد، ورؤية أسراها ومجلوببها وهي قوله:

جديرٌ بمن يهوى المشومة شومها	جهول غوى من أعجبته وشومها
عجوزٌ تطرّت في ثياب فتية	وتلك هي الدنيا غرورٌ نعيمها
فما صار برق ^(٤) من خوادع حُسنها	سوى بسمه خداعةً من يرومها
يعرّ بقبح الفعل حسن ابتسامها	كخطفة برقٍ أبلست من يشومها
فلو خلبت ^(٥) عين العقول بروقها	هل الأذن لم يقرع وجدك لومها
فإن كنت لم تسمع بقبح فعالها	فهاث إلى بغداد أقوت ^٧ رسومها
كأن كان بغداداً عروساً جميلةً	فخصبها حُمُرُ الدماء مقيمها
فقد غيبت تاتار نضرة وجهها	وما خلّتها تبتار لولا هجومها
هولاكو قد أجرى إليها هلاكها	به انتثرت ^٨ يوم الحجال قطيمها
كأن حسد الدنيا عليها فإنها	ننتى بها والغيد شوه خصومها
بها ازدانت الآفاق شرقاً ومغرباً	كما زان أسباب السماء نجومها
وقد صيب تاتار سوط عذابها	وقد قدّ حلق لم تصبه سمومها
شموسٌ بها كانت وأقمار ملكها ^(٦)	دهاها على أيدي الدواهي غيومها

(١) الأنبياء: الآية ١١.

(٢) الأنعام: الآية ١٢٩.

(٣) الأحزاب: الآية ٣٨.

(٤) في الأصل (صارق).

(٥) خالبه واختلبه: أي خادعه.

(٦) في الأصل (ملكة).

(٧) يقال: أقوت الدار وقويت أيضاً، أي خلت، ينظر: الكتاب: الجوهري: إسماعيل بن حماد الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق:

أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط/٤، (١٤٠٧ هـ): ٢٤٧٠/٦.

(٨) في الأصل (انتثرت).

خليفة الدّما صينُ البلاد ورومها	وتبكي عليها بالدموع ذوارفاً	وتبكي عليها دجلةً بعيونها	وتبكي لهم يوم المناسك كعبةً
إلى أن يرى جفّت عليها سجومها	وزمزمها مرّاً ومرّاً حطيمها	وقام غرابُ البين فيها وبومها	فأين كرامٌ سادةٌ وخلائقٌ
تهابهم صيد الملوك قرومها ^(١)	إذا صادف الغبراء يوماً قدومها	وأطواد مجدٍ منهم [من] ^(٢) يمومها	وذلك دأبي فليلم من يلومها
ليذكر لكم بهرامها وسدومها	بكفي وإني قلّ مني رؤومها	قوافل حجّ قد تشدّ عكومها	ويؤهنّ لهم حول البيوت عزومها
لقصّاد بيت الله أودى كريمها	يكون غداها سمها وسمومها	فأفّ لدنياً لم تُدقّك عسيلةً	

ولمّا فرغ هولاء من أمر بغداد وغيرها من البلاد استراح سنة، وأرسل بالذخائر والغنائم إلى حضرة منكاخان، وبعض بنات الخليفة المستعصم كانت من سوقاتهم، والسوقات عندهم بمنزلة هدية السفر، تهباً لبلاد الشام ومصر، وتوجه إليها. وإذا كنّا أتمننا هذا الكتاب لم نكن نعلم من حاله إلا هذه الجملة التي ذكرناها على سبيل [ص/٢٤] الجملة.

[خاتمة الكتاب]

قال الناقل المعرّب: فما نحن نقطع الكلام بحمد الله تعالى وجميل لطفه وكرمه، وجزيل مننه ونعمه، فإنّه الموقّق لإتمام الأمور، والموصول لأواخرها بالصّدور، في أواسط رجب سنة ثمان وخمسين وستمائة. تمّ هذا الكتاب بعون الله تعالى ومنّه، وصلى الله على خير خلقه محمّد المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه [قبيل]^(٣) وقت الظهر من يوم الجمعة في شهر الله المبارك [في الخامس]^(٤) جمادى الآخرة في تاريخ سنة ثمان وتسعين وثمانمائة من هجرة المصطفى خير البرية، على يد العبد الفقير حُسين بن محمّد غفر الله ذنوبهما وستر عيوبهما في^(٥) مدرسة الفقيه الفاضل الكامل الفقيه أحمد يوجاني^(٦) أطال الله تعالى بقائه بحق محمّد وآله أجمعين، والسّلام.

(١) القرم: الفحل المصعب، العين ١٥٨/٥.

(٢) لم ترد في الأصل.

(٣) في الأصل (قبلي).

(٤) في الأصل (در بنج).

(٥) في الأصل (در).

(٦) لم أقف عليها.

المصادر والمراجع

المصادر

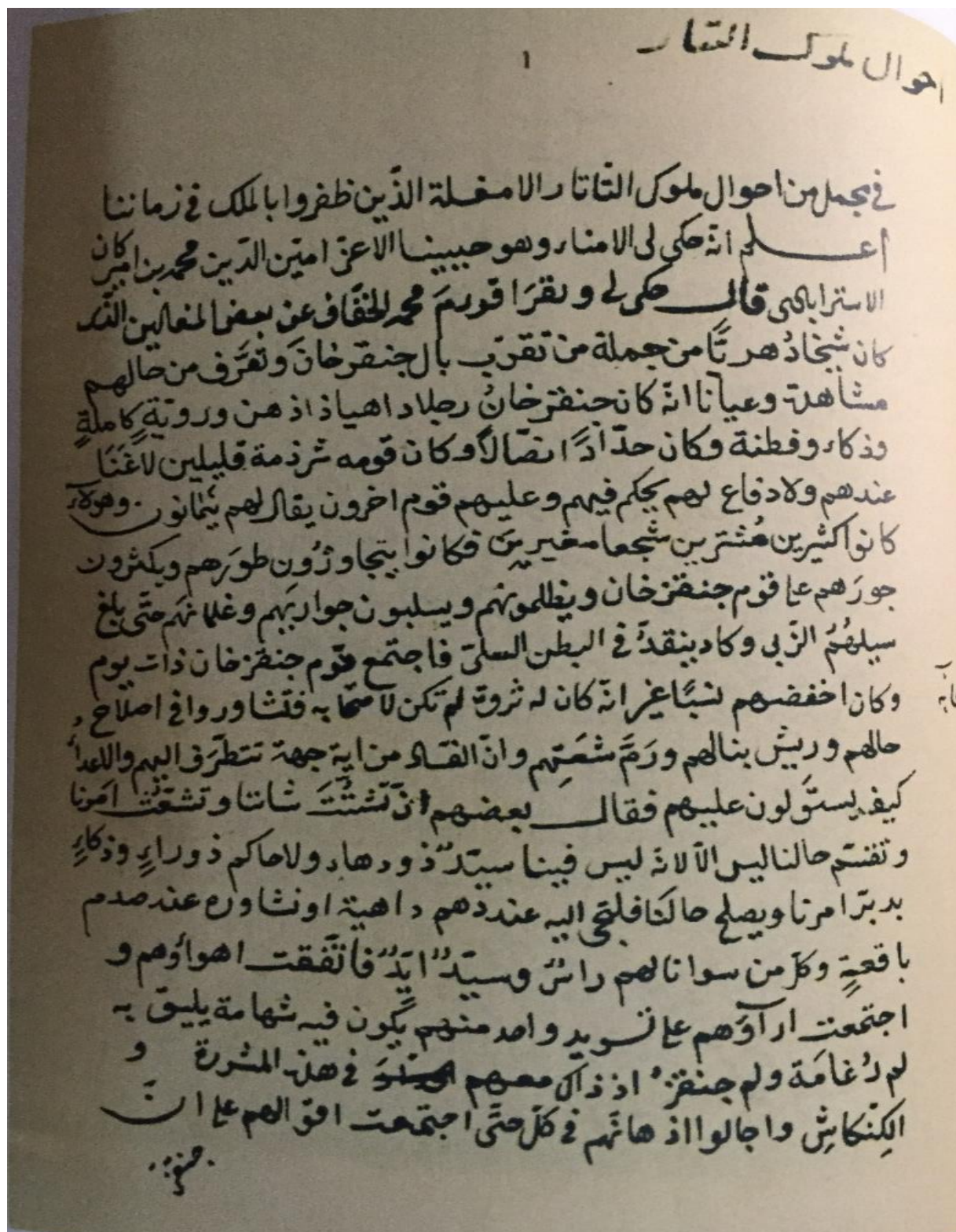
- ابن الأثير: عز الدين، علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠ هـ).
- ١- الكامل في التاريخ، المطبعة الحسينية، مصر (د. ت).
- البغدادي: عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت ٤٢٩ هـ)
- ٢- الفرق بين الفرق، اعتنى بها وعلق عليها: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، (١٤١٥ هـ).
- الجوهري: إسماعيل بن حماد الفارابي (ت ٣٩٣ هـ)
- ٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط/٤، (١٤٠٧ هـ).
- ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦ هـ)
- ٤- شرح نهج البلاغة، تحقيق: حسن تميم، مكتبة الحياة، بيروت، (١٩٦٣ م).
- الحموي: ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦ هـ)
- ٥- معجم البلدان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د. ت).
- ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المغربي (ت ٨٠٨ هـ)
- ٦- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (تاريخ ابن خلدون)، مؤسسة الأعلمي للطبوعات، بيروت، (١٣٩١ هـ).
- الذهبي، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ).
- ٧- سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤١٣ هـ).
- رشيد الدين الهمداني: فضل الله بن أبي الخير (ت ٧١٦ هـ)
- ٨- جامع التواريخ، لندن، (١٩١٠ م).
- السبكي: تاج الدين السبكي (ت ٧٧١ هـ)
- ٩- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمد الطناحي، دار الفكر، بيروت، (١٣٨٥ هـ).
- الصاحب بن عباد: إسماعيل بن عباد بن العباس (ت ٣٨٥ هـ)
- ١٠- المحيط في اللغة، تحقيق: د. محمد حسن آل ياسين، دار الفكر، بيروت، (١٩٩٤ م).
- الصدوق، محمد بن علي بن الحسين (ت ٣٨١ هـ)
- ١١- الخصال، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، (١٤٠٣ هـ): ٨٠/١.
- ١٢- معاني الأخبار، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، (١٣٧٩ هـ).
- ابن العبري: غريغوريوس بن توما الملطي (ت ٦٨٥ هـ)
- ١٣- تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، بيروت، ط/٣، (١٩٩٢ م).
- ابن عساكر: علي بن الحسن (ت ٥٧١ هـ)
- ١٤- تاريخ دمشق، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، (١٤١٥ هـ).
- العيني: بدر الدين محمود (ت ٨٥٥ هـ)
- ١٥- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، حققه ووضع حواشيه: د. محمد أمين، دار الكتب، مصر، (١٤٠٨ هـ).

- ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)
- ١٦- معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، بيروت، (١٤٠٤هـ).
- ابن أبي الفداء: إسماعيل بن علي الحموي (ت ٧٣٢هـ)
- ١٧- المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية، مصر (د. ت).
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ)
- ١٨- العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي- د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د. ت).
- القلقشندي: أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ)
- ١٩- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبناني، ط/٢، (١٤٠٢هـ).
- المبرد: محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ)
- ٢٠- الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط/٣، (١٤١٧هـ).
- الميداني: أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت ٥١٨هـ)
- ٢١- مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، (د. ت).
- النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ)
- ٢٢- نهاية الارب في فنون الأدب، تحقيق ومراجعة: مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٢٤هـ).
- أبو هلال العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل (ت ٣٩٥هـ)
- ٢٣- جمهرة الأمثال، دار الفكر، بيروت، (د. ت).

المراجع

- حسن الأمين (ت ١٣٩٩هـ) (معاصر).
- ٢٤- الإسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، إيران، ط/٢، (١٤١٧هـ).
- الصَّلَّابِي: علي محمد محمد (معاصر).
- ٢٥- المغول بين الانتشار والانكسار، الأندلس الجديدة، مصر، (١٤٣٠هـ).
- عبد الشافي محمد عبد اللطيف (معاصر)
- ٢٦- الموسوعة الموجزة في التاريخ الاسلامي، القاهرة، (د. ت).
- الكوراني: علي العاملي (معاصر)
- ٢٧- كيف رد الشيعة غزو المغول، مركز العلامة الحلي الثقافي، الحلة، ط/٢، (١٤٣١هـ).

الورقة الأولى من المخطوط باللغة العربية



الصفحة الأخيرة من المخطوط باللغة العربية

٢٤

بحمد الله قال الناقل المعرب فما نحن نقطع الكلام بحمد الله ثم وجبيل
 لطفه وكرمه وجزيل منته ونعمه فانه للموفق لانام الامور والموصل
 لاواخرها بالصدور في واسطه رجب سنة ثمان وخمسين وستمائة هـ

ثم هذه الكتابة بعون الله تعالى ومنه وصلى الله
 على خير خلقه محمد المصطفى صلى الله عليه وعلى آله واصحابه
 قبلي وفضلته في يوم الجمعة في شهر رجب
 المبارك ربيع جمادى الآخرة في تاريخ
 سنة تسع وتسعين وثمانمائة هـ - ثمانم

محمد المصطفى خير النبي علي يد
 العبد الفقير حبيب محمد عفران
 دنوبها واسطه عيونهما
 در مدرسه الفقه الناصري
 الكاظم الفقيه في
 اطال الله تعالى نفاذ
 بكونه والله
 اعزير
 والله
 م



١٣٧٦